قـراءة فـي معلقـة طرفـة

الأستاذ الأمين محمد الصغير
- جامعة الجزائر

لا أريد أن أشرح معلقة طرفة وأخوض في تفاصيلها ، فذلك شيء قام به القدماء والمحدثون تجد ذلك في شرح محقق الديوان ، وتجده في شروح المعلقات المختلفة وإنما أريد أن أنبه القارئ الى ظاهرة تتخلل هذه المعلقة ، وقد تفسر هذه الظاهرة القصيدة كلها ، وتدخل القارئ في جوها وتجعله قريباً من إحساس الشاعر ، وما كان يشغل باله في هذا الوجود . هذه الظاهرة هي ثنائية لا تجدها عند غيره من الشعراء الجاهلين هي ثنائية متجانسة أحياناً ومتناقضة في معظم الأحيان وتكاد تطغى حتى على تصويره وتقديمه للاشياء ، تجد ذلك في وصف الظعائن ووصف المرأة والناقة في حديثه المباشر عن نفسه وعن المجتمع عن الكرم والبخل عن الشجاعة والجبن عن الحرص على جمع المال ، وتبذيره في سبيل الملذات .

ويبدو أن هذه الثنائيات تكاد تندرج في سياق الثنائية الكبرى التي كانت تشغل بال الشاعر وهي ثنائية الحياة والموت ، ومن خلال هذه الفكرة يمكن أن نسمي طرفة شاعراً وجودياً أو أنه يحمل في أعماقه بذوراً للفلسفة الوجودية ، إذ لا يمكن أن ينشأ مذهب فلسفي أو غيره بدون أن تكون له بذور في المجتمع .

وإذا كان مبدأ الحرية الفردية هو أهم أسس المذهب الوجودي ، فإن هذا المبدأ الذي كان يؤرق الشاعر فقد كان يشعر أن العشيرة كانت تحاول أن تصادر هذا المبدأ وكان يحس أن المجتمع كله يحاول أن يسلبه هذا الحق الذي يعتبره أساساً من أسس الحياة .

ومن ثنائية الحياة والموت والتفكير فيهما تنبثق مشكلة المصير فتكتمل بذلك أهم أسس المذهب الوجودي .

إن طرفة كما يقول أحد الباحثين «يعيش الوجود أزمتين تسكنانه معاً فهو يعيش أزمة الغربة الوجودية ، أزمة الموجود البشري كفاجعة محتومة لا محيد عن مواجهتها ذات يوم لأنه

ووجود موصوف بالثبوت ، وأزمنة الفترة الاجتماعية الماضية من أجل اكتساب الخبرة»[1] .

نهاية النص والخبرة هنا الإنسان يكتسبان سمة القصيدة ، عبر عنها طرفة بأسلوب مباشر مرة وغير مباشر مرة أخرى ولعل هذا هو السبب الذي جعل القدماء يقولون عنه إنه أجودهم طويلة ويعجبون بتلك المعلقة ، وجعل المحدثين يرون فيه شاعراً معاصراً قريباً من أنفسهم لأنه عبر عن هموم الإنسان منذ وجوده حتى الآن .

بعد وقفة طللية قصيرة يشبه فيها الأطلال باقي الوشم ، ينتقل طرفة الى رحلة الظعائن (وهي الفرق التي تحمل النساء خاصة والكلمة رحلة قصيرة أيضاً) يقول بعد أن يشبه الظعائن بالسفن العظيمة :

عدولية أو من سفين ابن يامن جور بها الملاح طوراً ويهتدي
يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم التربُ المفايل باليد

إن هذه السفن من بلدة مشهورة بصناعة السفن تسمى عدولي ، أو هي من سفن ملاح مشهور يدعى ابن يامن كثيراً في الشعر الجاهلي يسمى ابن يامن » وملاح هذه السفن يسير بها في طريق مستقيم حيناً ، ويميل بها عن الطريق حيناً آخر وفعل صورة الجور والاهتداء في تعبير الشاعر ، قد توحي بكثرة خطر الغرق والأمل في النجاة . والشاعر بعد ذلك يكبر صورة الظعائن فتتحول عنده الى سفن عظيمة ، ويشعرها تشبه السفينة العظيمة عندما تشق الماء شبهها بما تصنع كومة من التراب (كما قسم التربُ الفايل باليد) والمفايلة نوع من القمار ، يكوم اللاعب كومة من التراب ويدفن فيها شيئاً ما ثم يقسم الكومة بيده نصفين ، ثم يقول صاحبه في أي نصف يدفن ذلك الشيء . وصورة الجور والاهتداء ، وصورة المفايلة فيها تداعيات الغرق والنجاة .

والريح والحمولة ، وكلها صور منسجمة مع ركوب البحر » وبالاضافة الى ذلك هي مقدمة تداعيات طويلة تأتي خلال معظم أجزاء القصيدة .

ووصف طرفة للمرأة ، وصف فنان بارع في التصوير لا يلجأ فيه الى التشبيه كما يلجأ امرؤ القيس وغيره من الشعراء ، وانما يستخدم الأسلوب الاستعاري ، وهو أرقى من التشبيه – تتصل فيه صورة الغزال حيناً ، حتى نظن أنه يتحدث عن غزال ، ويطل عليناً وجه المرأة آخر يقول :

وفي الحي أحوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد

فالحوة ونفض المرد (ثمر الاراك) وكونه شادنا (استغنى عن أمه) ، من سمات الغزال ، وفي الشطر الثاني من هذا البيت ، يلبسه عقدين احدهما من لؤلؤ والثاني من زبرجد ، ليدل على انه لا يتحدث عن غزال حقيقي وفي كل ذلك تطغى هذه الثنائية عليه ، وفي البيت الثاني من هذا الوصف يطل علينا وجه الغزال مرة أخرى ، يقول :

خذول تراعي زبربا بخميلة تناول أطراف البرير وترتدي

ويؤكد في هذا البيت على أن الغزال أنثى ، وهي أم تركت أولادها وذهبت ترعى مع النعيم وصورة المرأة في الشعر الجاهلي مقترنة بالأمومة في معظم الأحيان - تتناول هذه الطبية البرير (ثمر الأراك الناضج) وترتدي به ، والبرير لونه أسود ، فيوحي هذا الارتداء بأن شعر هذه المرأة أسود وهي صورة جميلة فيها ايحاء ، وفيها ثنائية التناول والارتداء . ويستعير بعد ذلك نور الشمس لثغر هذه المرأة ووجهها ، فبعد تشبيه الأسنان بزهر الأقحوان يقول عن الثغر والوجه :

سقته اياه الشمس الا لثاتة أسف ولم تكدم عليه بإثمد

ووجه كأن الشمس ألفت رداءها عليه ، نقي اللون لم يتخدد

يقول في البيت الأول إن الشمس قد سقت هذا الثغر أو الأسنان بشعاعها ، وإن لحم الاسنان قد ذر عليه الأثمد أو الكحل ، وفي البيت الثاني يقول إن الشمس قد ألقت رداءها أو نورها على وجهها ، وبذلك تصبح المرأة مشبهة لشيئين اثنين : الغزال والشمس ويضفي بهاتين الصورتين نوعا من القداسة على هذه الصورة لأن الشمس والغزال كانتا معبودتين في القديم ، بالاضافة الى قدسية الأمومة في العصر الجاهلي القديم ، فيتكون من المشبه والمشبه به الثالوث المقدس :

المرأة ، الأم ، والشمس ، والغزال ، وبهذا التشكيل تأخذ صورة المرأة عند طرفة بعداً أسطورياً ، ومن جهة أخرى (يعتمد على التضاد اللوني لابراز صفات المحبوبة أو عناصر صورتها ، فثغرها يجمع بين بياض الاسنان النوار ، وبياض الشمس ، وبين دكنة اللثة واسودادها ، ووجهها يجمع بين بياض الشمس وشعرها الفاحم كعناقيد البرير ، كل هذا بين خضرة الخميلة وزبرجد الحلي ، فكأن الصورة مساحات لونية من الأبيض والأسود والأخضر[2] .

وتتجلى هذه الظاهرة - ظاهرة الثنائية - في وصف الناقة أيضاً ، سواء كان ذلك في وصف الحركة أو نوع السير ، أو في وصف الجسد ، فهو عندما يقدم الصور يزاوج بينها ، حيث

يعطي لها صورتين في الشطر أو البيت في أغلب الاحيان ، ويركز على وصف الاعضاء المزدوجة بصيغة المثى مثل العينين والأذنين والفخذنين والمرفقين ، وكان في وسعه أن يصفها بصيغة المفرد ، ومن جهة أخرى تحس من خلال هذا الوصف أن ناقة طرفة تمثل عنده احساسين متناقضين ، فهي من جهة أخرى حصنه والملجأ الذي يلجأ إليه وقت الشدة ، عندما تحضره هموم الحياة ، وهي من جهة أخرى قدره المحتوم الذي يصاحبه الطريق وفي هذه الحياة ، هذا إذا علمنا بأن الرحلة في الشعر الجاهلي ترمز الى رحلة الانسان في الحياة ، يقول طرفة في بداية هذا الوصف .

وإني الهم لأمي عند اختصاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدى

أمون كألواح الإران نسأتها على لاحب كأنه ظهر برجد

يقول في البيت الأول : إنه إذا ألمت به الهموم ، فإنه يلجأ الى ناقة يصفها بالنشاط ، وبنوع من أنواع السير ، والشراح يقولون أنه يقصد بقوله (تروح وتغتدى) أنها تصل سير الليل بالنهار ، وفي البيت الثاني يقول أنها مأمونة العثار ، وأن عظامها كألواح التابوت العظيم ، وأنها عندما يضربها بالعصا - تسير في طريق واضح مخطط ، ويقول شارح الديوان ان (الاران) تابوت أو صندوق كان يحمل فيه الموتى من الشرفاء في ذلك العصر ، ومعنى هذا أن طرفة يقول - بوعي أو بدون وعي ، أن الإنسان محمول على نعشه أثناء مسيرة الحياة .

ووصف الناقة في المعلقة طويل يحتل منها ما يقرب من الثلث ، ولا يمكن للباحث أن يخوض في تفاصيل الوصف ولكن هناك صور لا يمكن اغفالها ، لأنها تدل من قريب أو بعيد على ما تذهب إليه في هذا البحث من ذلك قوله :

لها فخذان أكمل النحض فيهما كأنها بابا منيف ممرّد

يصف فخذيها بالامتلاء فيشبههما ببابي قصر مشيد عال ، واذا كانت صورة القصر توحي بالعظمة والقوة ، فإنها قد توحي أيضاً بالتحصّن واللجوء وهي منسجمة مع قوله في البيت الأول .

(وإني لأمضي إليهم...)

والصورة الثانية متلائمة مع فكرة الرحلة في الشعر الجاهلي ، وما تدل عليه هذه الرحلة يقول :

كقنطرة الرومي أقسم ربّها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

فهو يصف شدتها وتماسكها بقنطرة رجل رومي أقسم أن يحيطها بعناية حتى يكتمل بناؤها على أحسن حال ، واذا كانت القنطرة توحي بالقوة والمتانة فما لاشك فيه أنها في النهاية وسيلة للعبور وبهذا تكون الناقة معبراً حياتياً للشاعر وبهاتين الصورتين : القصر والقنطرة ، تأخذ الناقة بعدين اثنين فهي حصن منيع يلجأ إليه الشاعر ، وهي أيضاً مطيته في رحلته نحو المصير المحتوم ، وبهذين البعدين يتضح لنا أنه لا ملجأ للشاعر منها إلا وربما يؤكد البعد الثاني هذا البيت الأخير في وصف الناقة :

على مثلها أمضي اذا قال صاحبي ألا ليتني أفديك منها وافتد

يقول على مثل هذه الناقة يمضي في سفره ، حتى يشفق عليه صاحبه من مشقة السفر في الفلوات فيتمنى صاحبه أن يفديه ، ويفتدي هو أيضاً لكن التفسير الذي ينسجم مع البعد الثاني للناقة هو ما ذهب إليه أحد الباحثين[3] وهو أن الضمير في منها يعود الى الناقة ولا يعود الى مشقة السفر كما يراه الشراح القدماء .

وتبرز ثنائية طرفة بوضوح في هذا القسم الذي يلي وصف الناقة ، إن جاز لنا أن نقسم القصيدة الى أقسام ففيه يتحدث عن نفسه وقومه والمجتمع ، وتتجلى فيه ملامح شخصية طرفة بوضوح ، فيقدم فيه مذهبه وما كان يتوق إليه في هذه الحياة ، وتحس فيه بنفسيته المنسقة المعذبة ، في ظل الأعراف القائمة في ذلك المجتمع ، وكيف كانت تلك الأعراف قيداً لحريته الفردية ومن خلال كل ذلك تتجسد وجودية طرفة بكل عناصرها ومقوماتها ، يقدم كل ذلك في أسلوب سهل بسيط وعميق في الوقت نفسه ، يترك القارئ يتفاعل معه ويعجب به من جهة ، ويشفق على هذا الاحساس المرهف والمعذب من جهة أخرى ،

أنظر إليه كيف يقدم إليك نفسه في شخصيتين متباينتين في هذا البيت :

فإن تبغني في حلقة القوم تلقني وإن تلتمسني في الحوانيت تصطد

فالحياة في مفهومه مبنية على التناقض ، فليست جداً دائماً ، وليست هزلاً كذلك ، والإنسان يعيش فيها لنفسه ، فلا يفرط فيما يضبو إليه من متع ، وللمجتمع حق عليه فلا يجب أن يتجاهله كان طرفة يتمنى أن يكون عضواً صالحاً في المجتمع يستشير ويستشار ، وكان يريد من هذا المجتمع أن يتغافل عن سلوكه في الحياة الفردية ، حياة اللذة وما تتطلبه من خمر ونساء وغناء ، ويقدم صورة من هذه الحياة ، ولكنها صورة ظاهرها فيه اللهو والمجون ، وباطنها فيه الجد وفيه الحزن أيضاً والفرح والحزن قد يلتقيان عندما يبلغ كلاهما الأوج ، والأمر ما كانت

كلمة الطرب في اللغة تعني المعنيين بشدة الفرح وشدة الحزن ، يقول :

نـــدا مـــالي بيض كالنجـوم وقينـــه تروح علينـــــا بين برد ومجســـــد
رحيب قطـــاب الجيب منهـــا رفيقـــة بجس النـــــدامى بضّـــــة المتجرّد

ثم يصف في النهاية صوتها هذا الوصف الغريب :

اذا رجّعت في صـوتهـــا خلت صـوتهـــا تجـــــاوب اطـــــار على ربـــع رد

حياة اللهو والشرب يختار لها طرفة شيئين : النـدمـاء والمغنيـة ، لا ينسى أنـه شريف وحر ولهذا لا ينادم إلا الشرفاء والأحرار ، الذين يصفهم بـالنجوم ، وصفـة النجوم تعني عنـده شيئين أنهم بيض الوجوه ، وليسوا عبيـداً ، وتعني العلو ونقـاء الأصـل والعرض ، ومـا شـابـه ذلـك من أخلاق ، والبياض والسواد يعبر بهما في الشعر الجاهلي عن هـذين المعنيين ، كما يعبر بهما عن الخير والشر أيضاً ، ثم يتحدث عن هذه المغنية واصفاً جسدها وثيـابهـا وصوتهـا ، فهي تـأتي إليهم بين ثـوبين : برد (نـوع من الثيـاب) ومجسـد (ثـوب يلي الجسـد) وكـلا الثـوبين متسـع حـول الجيـد والصدر ، حيث يبرز هذا الاتساع بعض مفاتن جسدها البض ، وهي بالاضافة الى ذلك لطيفة ورفيقة بمداعبة الندماء ثم يصف صوتها بهذه الصورة الصوتية الغريبة التي تعبر – بدون شك عن حزن عميق في إحسـاسـه ، حيث يتحول الغنـاء عنـده الى بكاء ونـواح فيقـول اذا رجعت هـذه الجاريـة في صوتهـا ، ظننتـه صوت نواح نوق ، تنوح على فقـد أولادهـا ، ونواح النوق يوظفه الشعراء عادة في شعر الرثاء والحديث عن الموت كثير في المعلقة يـذكر بـاللفـظ أحيـانـاً ويقـدم صوراً توحي به أحياناً أخرى ، ثم يواصل حديثه عن هذه اللاهية وما نتج عنها فيقول :

ومـــا زال تشرابي الخمـــور ولـــذتي وبيعي وانفـــاقي طريفي ومتلـــدي
الى أن تحـــامتني العشيرة كلهـــا وأفردت أفراد البعير المعبـــد

يقول أنـه ينفق مـا بيـده من مـال موروث أو مكتسب ينفق الاثنين في سبيـل شرب الخمر وطلب اللذة ، وهذا ما جعل العشيرة تتجنبه وتعتزله وكأنه جمل معبّد (مطلي بـالقطران) ويعني بذلك أنه كالجمل الأجرب الذي يعزل عن الجمال الأخرى لكي لا يعـديهـا بـالجرب ، وهي صورة بـدويـة منفرة ولكنهـا موحيـة ومؤثرة ، والشـاعر الجـاهلي يقـدم مثل هـذه الصـور المـاديـة أو المحسوسة من البيئة ليعبر بها من المعاني المجردة .

واذا كان طرفة يعاني من ظلم ذوي القربى وشدة أذاه على نفسه كما يقول في بيت آخر ، فان الأباعد من الناس يعرفون له الفضل ولا ينكرونه ، ويقدم هؤلاء الأباعد في ثنائيـة من النـاس

أو صنفين منهم بني غبراء : (الفقراء الملتصون بغبار الأرض) وأهل الطراف : (الأغنياء أصحاب البيوت المصنوعة من الجلود فيقول :

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هـذاك الطّراف الممـدّد

كان طرفة يحس أنه مسرف في طلب اللذة ، وكان يرى أن من حق الفتى أن يتمتع بما يريد من الحياة وكان يحس أيضاً أن قومه مسرفون في لومه على هذا الاسراف وكان يحاول أن يقابل هذا الاسراف ببعض قيم المجتمع مثل نجدة المظلوم أو المشاركة في الحروب ، يتحداهم بسلوكه الفردي من جهة ويتوق الى تقاليدهم من جهة أخرى ونحس من خطابه أنه يسخر من جهلهم بمعنى الحياة ، فإذا كانوا لا يستطعون أن يضمنوا له الخلود فلم لا يتركونه يتمتع بلذة الحياة ويسابق الموت بقدر ما يستطيع .

أنظر إليه كيف يعبر عن هذا كله في هذه الثنائية التي تبدو أنها متناقضة : الحضور الى ساحة الموت أو الحروب ، والحضور الى ساحة اللذة ، يقدم هذا في تعبير جميل في بساطته وعمقه :

ألا أيـا هـذا اللائمي أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

فـان كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

ويلخص طرفة بعد ذلك مذهبه في الحياة في ثلاثة أشياء يقول أنها من حياة الفتى أو عيشته ، وأنه بدونها لا يبالي بالحياة ، أو ليس للحياة طعم يفقدها يقول :

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدّك لم أحفل متى قام عودي

وأول هذه الأشياء : أن يسبق العواذل الى شربة خمر ، وثانيها أن يسرع الى نجدة الخائف المستغيث ، وثالثها أن يقصر يومه بالتمتع بامرأة جميلة ناعمة وسمينة ، بهذه الرغبات يكون قد نفى عطش الحياة ، وسبق الموت الى الارتواء منها ، كما يقول في مقابلته بين ثنائية الري والعطش :

كريم يروي نفسه في حياته ستعلم إن متناغدا أينا الصدى

ثم يستمر في الحديث عن ثنائيته من الكرم والبخل ، والحرص على جمع المال وتبذيره فيرى أن نهاية الحريص على جمع المال والبخيل به ، كنهاية المبذر والمفسد لهذا المال ، ولا يفضل قبر الأول على قبر الثاني ، فكلا القبرين فوقه كومة من تراب ، وصفائح من حجارة منضدة ، وهو يقول ضمنياً ، كانت النهاية واحدة بالنسبة للإثنين فلم الحرص والبخل ، يقول :

أرى قبر نحـــام بخيـــل بمـــالـــه كقبر غـوي في البطـــالـــة مفســـد
ترى جثـــــــوتين من تراب عليهما صفـــائـح صمّ من صفيـح منضـد

ومن بين هذه الثنائيات يرى طرفه أن الموت يختار الكريم من الناس كما يختار الكريم أو النفيس من مال البخيل المتشدد ، وبعبارة أصح أننا نحس بقصر عمر الكريم بيننا فنفزع لموته كما يفزع البخيل لفناء النفيس من ماله .

أرى المـوت يعتـــام الكرام ويصطفي عقيلـــة مـــال الفـــاحش المتشـــدد

ثم يواصل هذه التأملات بالحديث عن قصر عمر الإنسان ، هذا العمر الذي يقول عنه أنه كنز ينقص كل ليلة ، ويسمى الزمن تسميتين : أياماً ودهراً ، فيقول أن هذا العمر الكنز سوف ينقص ما دامت أيدي الأيام ويد الدهر تأخذ منه :

أرى العمر كنزاً نـــاقصـــاً كل ليلـــة ومـــا تنقص الأيـــام والـــدهر ينفـــد

ثم يختم هذا القسم الذي تبرز فيه تأملات طرفة الوجودية بقوله أن كل انسان مرتبط بحبل من حبال الموت ، ولا يمكن لإنسان مربوط بهذا الحبل أن يفلت منه :

لعمرك إن المـوت مـــا أخطـــا الفتى لكا لطـول المرخي وثنيـــاه بـــاليـــد

وفي القسم الأخير من المعلقة ، وفي إطار هذه الثنائيات يبدو لك أنه ينقسم الى شخصيتين متمايزتين ، قوي وضعيف ، قوي حين يفخر بنفسه ، في تميزه بصفات الرجل الكامل من كرم وشجاعة وغيرهما من قيم المجتمع ، وضعيف حين يشكو من أقاربه ، وحين نحس أنه يئن تحت وطأة الفقر وذله حتى إنه يتمنى المال الذي كان يمقت الحرص عليه من قبل ، أنظر إليه كيف يشكو من أحد أقاربه :

فـــا لي أراني وابن عمّي مـــالكاً متى أدن منـــه ينـــأ عني ويبعـــد

ثم يقول عنه إنه يلومه ولا يدري لماذا ؟ وأنه أيأسه من كل خير طلبه منه ، وأنظر إليه كيف يصور شدة أذى أقاربه على نفسه ، في هذا البيت الذي أصبح فيما بعد يضرب به المثل :

وظلم ذوي القربى أشـــد مضـــاضـــة على النفس من وقـع الحســـام المهنـــد

ثم أنظر إليه كيف يضعف أمام القدر فيصبح طرفة الوجودي ، مؤمناً ضعيفاً يسلم أمره الى مشيئة الله وتطغى عليه هذه الثنائية حتى في التمني فيتمنى أن يكون مثل سيدين من سادة قومه في المال والولد ولكنها مشيئة الله كما يقول :

فلـو شـــاء ربي كنت قيس بن خـــالـــد ولـو شـــاء ربي كنت عمرو بن مرثـــد

ـاصبحت ذا مـــــال كثير وزارني بنـــــون كرام ســـــادة لمســـــوّد

وبعد هذين البيتين مباشرة تعود إليه شخصيته القوية ، فيقول مفتخراً :

ـا الرجـل الضرب الـــذي تعرفـونـــه خشـــــاش كرأس الحيـــة المتـــوقـــد
ـاليت لا ينفـــك كشحي بطـــانـــه لعضت رقيـــــق الشفرتين مهنّـــــد
ـسام اذا مـــــا قمت منتصراً بـــــه كفى العـود منـــه البـــدء ليس بمعضـد

فهو ضرب (نحيل الجسم) خفيف الحركة خشاش (دخال) في الأمور ، سريع وذكي ومتيقظ ثل رأس الحية في الخفة والحركة ، وأنه أقسم أن لا يفارقه هذا السيف القاطع المهند الذي كفي منه الضربة الأولى عن الثانية ويستمر في فخره بقوته وشجاعته وكرمه الى نهاية القصيدة لكن هاجس الموت لا يفارقه حتى في مجال الفخر ، فهو يطلب من ابنة أخيه أن تشيع موته ين الناس إذا مات ، وأن تحزن عليه حزناً يليق بعظيم مثله :

ـإن مت فـــانعيني بمـــا أنـــا أهلـــه وشقي علي الجيب يـــا إبنـــة معبـــد

وبعد فخر كثير ، يختم القصيدة بهذه الحكمة المأخوذة من تجربة الحياة والتي كان يعجب بها لقدماء حتى أصبح يضرب بها المثل :

ستبـدي لـك الأيـام مـا كنت جـاهـلاً ويـــأتيـــك بـــالأخبـــار من لم تـزود

فالأيام كفيلة بكشف الحقائق وقد يكشف لك عنها من لم تكن تنتظر منه ذلك : «هذا هو تفكير طرفة الشاعر الشاب الـذي يريـد أن يتكشف فكرة المصير التي تطرق وجدان الشعوب ، في بداية السلم الحضاري ، هذه هي الشخصية القوية التي تحس وجودها على نحو قوي ، ومن ثم تفكر في الموت فالمصير لا يمثل أشكالاً بالنسبة لضعيف الشخصية ، أو لا يصل الى جعل هذه الأفكار قضية بالنسبة له[4] .

الهوامش

(1) يوسف اليوسف : بحوث في المعلقات ، وزارة الثقافة ، دمشق 1978 ، ص57 – 58 .
(2) علي البطل : الصورة في الشعر ، دار الأندلس ط2 1981 ، ص70 – 71 .
(3) مصطفى ناصف : قراءة ثانية لشعرنا القديم ، دار الأندلس ط2 1981 ، ص460 .
(4) مصطفى ناصف : قراءة ثانية في شعرنا القديم ، ص171 .